الكتابة فيه ؛ والذى يعيش الفكر الإنسانى عالة عليه مهما جدد أو تقدم .

ولن يعسر عليك - بعد إذ وقفت على تصنيف كتب أرسطو أن تبين موضع الأخلاق فى لوحة العلوم وقائمة المعارف عنده ، لما هنالك من تقارب كبير بين تقسيم العلوم عنده وتصنيف الشراح لكتبه . فان العلم ينقسم عند أرسطو - باعتبار الغاية التى يؤدى اليها - الى نظرى وعملى .

فالنظرى غايته العلم والمعرفة لذاتها أبتغاء الوصول إلى الحقيقة . فإن تعلق العلم والمعرفة بموجود هو مادة وحس وحركة فهو العلم الطبيعى ، وإن تعلق بموجودات مجردة عن هذه ولكنها كم ومقدار فهو العلم الرياضى . وإن كانت مطلقة التجريد عن ذلك كله فالعلم الإلهى أو الميتا فيزيقا .

أما العلم العملى فليس الغرض منه مجرد الوقوف على الحقيقة أو الحق le vrai وبالانجليزية truth أعنى العلم للعلم والمعرفة لذاتها كالعلم النظرى ، بل يتجاوز ذلك إلى العمل والتدبير . فموضوعة الخير le bon وبالانجليزية goodness فان كان الخير الذى تنشده يتعلق بالانسان وحده وفى ذاته فذلك علم الأخلاق . وإن تعلق بأسرته ومن يعاملهم من أهله فذلك تدبير المنزل ؛ وإن أمتد ليتناول تدبير أمور المملكة أو الدولة جميعها من حيث هى مجموعة فذلك علم السياسة .

أرأيت إذن أين يضع أرسطو علم الأخلاق من لوحة علومه ؟ هو أول العلوم العملية التى تدبر أمر الإنسان بما هو إنسان . فان شئت بعد هذا أن ترجع معى إلى هذا التصنيف الذى توسع به فلاسفة العرب ونقله منهم الفارابى وابن سينا وغيرهم ، فلاحظ ما يأتى :

(١) لم يدخل أرسطو فى هذا التصنيف علم المنطق لأنه إعتبره مدخلا ومقدمة كما قلنا . وإنما أحل محله العلم الرياضى بعد أن تقدم عليه الطبيعى ، وأن لم يؤلف هو فى الرياضة كتباً مستقلة .

(٢) أن العلوم النظرية تتدرج حسب نزوعها إلى التجريد - فاليتا فيزيقا أرقاها ، ولهذا يسميها العرب العلم الأول (الطبيعيات) والأوسط (الرياضيات) والأعلى (الإلهيات) .

(٣) والعلوم العملية تتدرج من الوحدة إلى الكثرة ومن تدبير شئون الفرد إلى تدبير شئون الدولة .

(٤) والعلم النظرى أشرف من العملى لأنه يراد به كمال العقل الانسانى . كما أن العلم العملى أشرف من الفنى لأنه يدبر أمر الإنسان ويتعلق به بينما يعمل الفن فى الأشياء والمحسوسات .

وذلك بعض ما نجد فى فلسفة أرسطو فى ترتيب وأنتظام ومذهبية .

وإنك بعد هذا لجدير بأن تقدم على قراءة أرسطو وتحليله معى بأفق أوسع وفهم جديد ، حين نلتقى مرة ثالثة فى الحديث المقبل إن شاء الله.

كمال وسرقى

الشعر المصرى فى مائة عام

للأستاذ سيد كيلانى

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ — ١٩١٩

— ٦ —

احتل الإنجليز البلاد المصرية فى عام ١٨٨٢ م فبدأ بذلك عهد جديد أخلد المصريون فيه إلى الهدوء والسكينة ، وأخذت الحالة المالية تتحسن يوما بعد يوم، فعم الرخاء واستتب الأمن وانتشرت الطمأنينة وساد العدل وسارت البلاد فى طريق التحضر بخطى واسعة . وأقبل المصريون على التعلم فكثرت المدارس والمطابع والصحف والمجلات . وراجت سوق الكتب ؛ وجد الناس فى طبع الكتب القديمة وترجمة روائع الأدب الغربى ، وشعر الجميع بعجز اللغة العربية وقصورها عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة . ففكروا فى إصلاحها واختلفوا فى طريقة الإصلاح . وقد ظهر أثر تلك الحركة عند الشعراء ، فنظم حافظ ابراهيم قصيدة على لسان اللغة العربية قال فيها .

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

ثم أخذ الروح الوطنى فى الظهور والنمو حتى جاء مصطفى كامل فالتف حوله الشبان والشيوخ ، وازدهرت الصحف الوطنية وجدت

فى مهاجمة المحتلين . وساهم الشعراء فى تلك الحركة فنظموا القصائد الحماسية فى تحريض الوطنيين على الجهاد والكفاح ، وفى هجاء الإنجليز وكل من يتعاون معهم من المصريين ، وكان لورد كرومر — وهو أول معتمد بريطانى فى مصر — قد وضع فى يديه مقاليد الحكم يصرف الأمور كيف يشاء وفقا لمصلحة المستعمر التى لم تكن متفقة مع مايصبو إليه المصريون من الرغبة فى الاستقلال والتمتع بالحكم النيابى ، ونشر التعليم بجميع أنواعه بين أبناء البلاد والظفر بحرية الصحافة والخطابة وغيرها من أنواع الحريات . لذلك أضحت سياسة لورد كرومر التى لم تتمش مع هذه الرغبات الوطنية موضعا لهجوم شديد ، ونقد عنيف من الكتاب والشعراء . ونظمت فى عصر ذلك الرجل كثير من القصائد الفياضة بالعواطف الوطنية الصادقة .

وفى عام ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى المشهورة فهاجت الخواطر واشتد الحنق على المحتلين . وأخذ الشعراء ينظمون القصائد فى البكاء على ما أصاب تلك القرية والتشهير بالانجليز . فلشوقى قصيدة مطلعها :

يادنشواى على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام

ولحافظ ابراهيم قصيدة جاء فيها .

ليت شعرى أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا
كيف يحلو من القوى التشفى بضعيف ألقى إليه القيادا
إنها مثلة تشف عن الغيـ ـظ ولسنا لغيظكم أندادا

وقال اسماعيل صبرى من قصيدة ينوه فيها بعفو الخديو عباس عن المسجونين من أهل دنشواى

وأقامت عثرة قرية حكم الهوى فى أهلها وقضى القضاء الأخرق
إن أنس فيها بائس مما به وأرن جاوبه هناك مطوق
وارحمتى لجناتهم ماذا جنوا ؟ وقضاتهم ماعاقهم أن يتقوا

وفى عام ١٩٠٧ عزل لورد كرومر من منصبه ففرح بذلك الوطنيون فرحا عظيما ، وقد عبر الشعراء عن ذلك الفرح .

قال شوقى من قصيدة طويلة

لما رحلت عن البلاد تشهدت فكأنك الداء العياء رحيلا

وقال الكاشف

وتنفس الصعداء شعب حامل هما يضيق به الفضاء الأرحب

والذى لاشك فيه أن الأحوال المالية قد تحسنت كثيرا فى عهد كرومر ، واستتب الأمن ، وساد العدل وانتشرت الطمأنينة وعم الرخاء . وفى ذلك يقول حافظ

سنطرى أياديك التى قد أفضتها علينا فلسنا أمة تجحد اليدا
أمنا ، فلم يسلك بنا الخوف مسلكا ونعماء فلم يطرق لنا الدهر مرقدا
وكنت رحيم القلب تحمى ضعيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا

على أن المصريين قد اختلفوا فى الحكم على كرومر . فمن نظر إلى نمو الموارد المالية على يديه وتقدم حركة العمران مدحه وأثنى عليه . ومن نظر إلى الأحوال السياسية وتخلف الشعب المصرى عن غيره من الشعوب الناهضة فى ميدان السياسة والعلم ، وتمتع الأجانب بجل خيرات مصر ، وانتشار الشركات الأوربية فى طول البلاد وعرضها ، وإمعانها فى النهب والسلب — من نظر إلى هذه الأحوال قدحه ونعى عليه . وفى ذلك يقول حافظ

تشعبت الآراء فيك فقائل أفاد الغنى أهل البلاد وأسعدا
وكانت له فى المصلحين سياسة ترخص فيها تارة وتشددا
رأى العز كل العز فى بسطة الغنى فحارب جيش الفقر حتى تبددا

إلى أن قال :

وآخر لم يقصر على المال همه يرى أن ذاك المال لايكفل الهدى
فلا يحمد الإثراء حتى يزينه بعلم وخير العلم ما كان مرشدا
يناديك قد أزويت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم يالورد معهدا
وأنك أخصبت البلاد تعمدا وأجدبت فى مصر العقول تعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل إلى الردى
ووافيت والقطران فى ظل راية فما زلت بالسودان حتى تمردا
فطاح كما طاحت (مصوع) بعده وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى

فى هذه القصيدة تتبين رأى حافظ فى كرومر ، ثم رأى المناصرين لسياسة هذا المبيد ، ثم رأى الناقمين على هذه السياسة وهم من الحزب الوطنى . والملاحظ عنا أن قصيدة حافظ فى وداع كرومر كانت هادئة . والسر فى ذلك أن حافظا كان تلميذا لمحمد عبده الذى كان صديقا حميما لكرومر يستنجد به ضد الخديو عباس . أما قصيدة شوقى فقد بلغت الغاية فى العنف . ذلك لأن شوقى كان شاعر الخديو الذى كانت بينه وبين كرومر عداوة شديدة . وللكاشف قصيدة لاتقل روعة وعنفا عن قصيدة شوقى ومطلعها :

أعيى عزائمك القضاء الأغلب وطوى صحيفتك الزمان القلب

ومنها :

أنسيت محنة مصر فى سودانها أيام هام الجيش فيه يعذب
أهملته حتى إذا فتكوا به أمسى فؤادك جمرة تتلهب

ومنها . وفيه إشارة إلى إتفاقية الحكم الثنائى فى السودان بين مصر وبريطانيا :

غافلتهم حينا فلم يتلفتوا إلا ونابك فيهم والمخلب
لولا خضوع وزارة عيابة لم يستقم لك فى السياسة مذهب

* * *

أما رأى المناصرين لسياسة كرومر والمحبذين لها ، فقد حمل لواءه الشاعر أحمد نسيم الذى استؤجر للتغنى بمناقب الإنجليز وفضائلهم وله قصيدة مدح بها لورد كرومر وودعه حينما رحل عن البلاد ، ومطلعها :

يامنقذ النيل لايفنى لك النيل يداً لها من فم الإصلاح تقبيل
إنا نودع فيك العرف أجمعه وما لنا غير حسن الصبر تعليل

ومنها :

جعلت مصر بلاداً أمطرت ذهبا فتربها بعذاب التبر مبلول
خلقتها ويد الإسعاد تكنفها داراً عليها من النعمى سرابيل
حللت فيها وغل الجور مقعدها ذلا وفارقتها والجور مغلول
وكنت ملجأها أيام نكبتها وللحوادث بابن النيل تنكيل
سست العباد بأمر ليس ينقصه نماه تحقق أن الأمر مفعول
وقد رفعت من الإصلاح ألوية لها رواق على الأصقاع مسدول
وقمت بالأمر حتى مالنا طلب يرجى وأنت أمام الله مسؤول

وكان مصطفى فهمى رئيس النظار وقتئذ قد أقام حفلة تكريم للورد كرومر بمناسبة سفره إلى بلاده . وفى هذه الحفلة خطب رئيس النظار فأطرى كرومر وأثنى عليه . فهب الشعراء يثنون على مصطفى فهمى مافعل ، ويتناولونه بالنقد والتجريح . ثم خطب لورد كرومر فى هذه الحفلة فأهان المصريين ورماهم بالتعصب ونكران الجميل ، وعرض بالخديو اسماعيل تعريضاً شديداً . وكان الأمير حسين كامل (السلطان حسين) حاضراً فسمع ماقيل فى أبيه من الشتائم والسباب وقد ظهر أثر ماحدث فى هذه الحفلة عند شوقى حيث يقول .

أوحشتنا يوم الوداع إهانة أحب لعمرك لايصيب مثيلا

أصـــــداء

للاستاذ كامل محمود حبيب

إلى اخوانى الذين حبونى بالمحبة والثقة على حين قد شطت الدار وبعد المزار (كامل)

قرأت فى العدد ٨٦٠ من الرسالة الغراء رسالة من الأستاذ محمود الطاهر الصافى برمل الأسكندرية إلى يقول فيها « .. وبعد فإنى اعلم أنك كنت صديقاً لإمام الادب وحجة اللغة ، عبقريا الرافعى ـ لهذا أرى أن للعربية حقاً عليك تؤديه بعمل تنشر به للرافعى ذكراً جديداً ، تلفت إلى أدبه (الباعث لأمة) . وأقترح أن يكون هذا العمل كما يأتى . ـ

أولا . ـ جمع ما أثنى به الكتاب والعظماء على الرافعى ، وهو شىء كثير يؤلف مجلداً ضخماً أو أكثر ، وما رأيت أحداً أثنى عليه بمثله وفيه أبلغ القول وأجله

« ثانيا ، ـ جمع كل ما عرف له من شعر ونثر ، والمبالغة فى هذا الجمع حتى لا يفلت مما أثر عنه شىء .

« ثالثاً . ـ السعى لإنشاء كرسى لأدبه فى الجامعة ، فما هو بأقل من شوقى ، ولا منزلته بأقل من منزلته ؛ بل له ميزة لم يشاركه فيها أحد ، وهى الزامه نفسه بألا يكتب ـ وما أدراك ما كتابته

هلا بدا لك أن تجامل بعد ما صاغ الرئيس لك الثنا إكليلا
انظار إلى أدب الرئيس ولطفه تجد الرئيس مهذبا ونبيلا
فى مأتم للمضحكات مشيد مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد (الحسين) عليه لعن أصوله وتصدر (الأعمى) به تطفيلا

والحسين هو حسين كامل . والأعمى هو الشيخ عبد الكريم سليمان أحد علماء الأزهر . وقد كان علماء الأزهر يميلون إلى كرومر لما عرف عنه من صداقته لاستاذهم الشيخ محمد عبده . وقد اهتم شوقى فى هذه القصيدة بالدفاع عن جد الخديو عباس إرضاء للخديو من ناحية ، ومن ناحية أخرى وفاء للخديو اسماعيل الذى ولد بيابه كما قال

أأخون اسماعيل فى أبنائه ولقد ولدت بباب اسماعيلا

سيد كيلانى